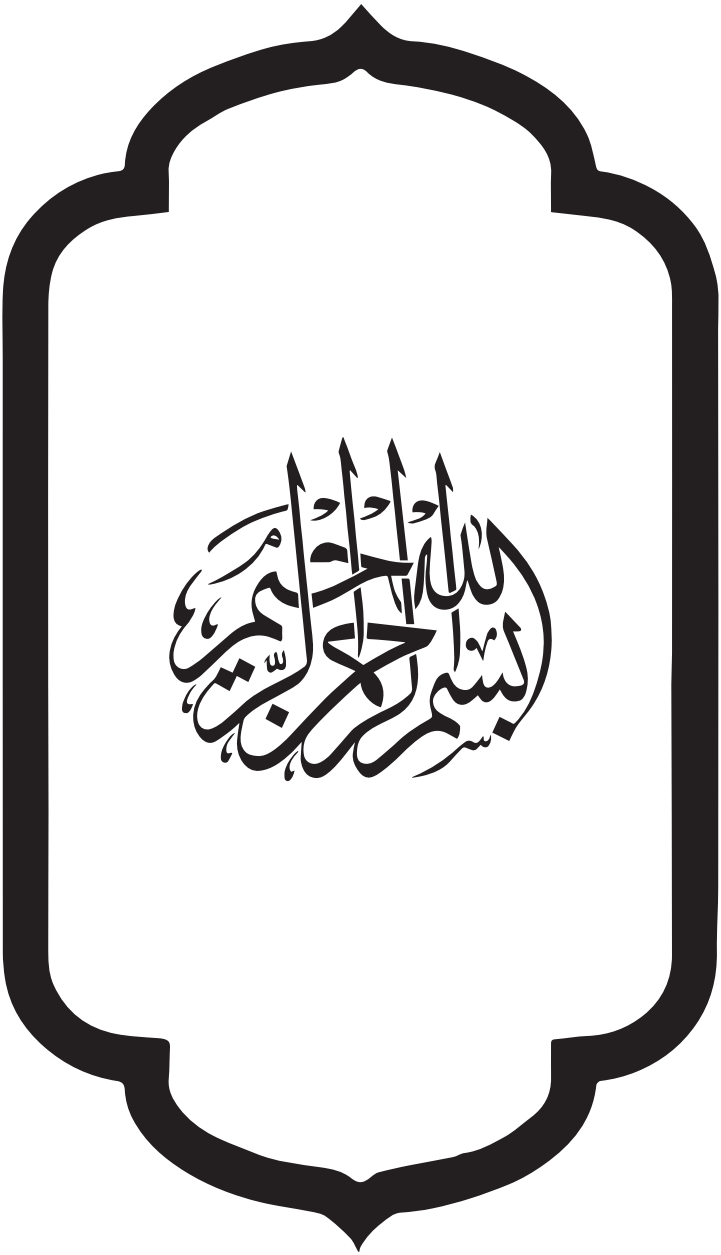
بسم الله الرحمن الرحيم

المبادئ السياسية الإمامية عند الإمام السجاد عليه السلام

تأليف: الدكتورة راغدة محمد المصري.

مراجعة وتدقيق: مؤسسة الإمام زين العابدين عليه السلام.

الطبعة: الأولى.

المطبعة: دار الوارث - كربلاء المقدسة.

سنة الطبع: ١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م.

عدد النسخ: ٥٠٠.

رقم الاصدار: ١٣.

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ( ) لسنة ٢٠٢٥م.

ISBN:

جميع الحقوق محفوظة لمؤسسة الإمام زين العابدين عليه السلام للبحوث والدراسات

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة

المبادئ السياسية الإمامية عند الإمام السجاد عليه السلام

تأليف
الدكتورة راغدة المصري

مراجعة وتدقيق
مؤسسة الإمامين العابدين عليهما السلام
للبحوث والدراسات

مقدمة المؤسسة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العالَمِينَ الَّذِي قَدَّرَ كُلَّ شَيْءٍ تَقْدِيراً، ويَسَّرَ كُلَّ شَيْءٍ تَيْسِيراً، ودَبَّرَ مَا دُونَهُ تَدْبِيراً، الَّذِي لَمْ يُعِنْهُ عَلَىٰ خَلْقِهِ شَرِيكٌ، ولَمْ يُوَازِرْهُ فِي أَمْرِهِ وَزِيرٌ، ولَمْ يَكُنْ لَهُ مُشَاهِدٌ ولَا نَظِيرٌ.

اللّهمَّ وصَلِّ علىٰ خاتم النبيين محمد الأمين، والأئمةِ الرّاشدينَ، والقادةِ الهادينَ، والسادةِ المعصومينَ، الأتقياءِ الأبرارِ، مأوىٰ السكينةِ والوقارِ، خُزّانِ العلمِ، ومُنتهىٰ الحلمِ، ساسةِ العبادِ، وأركانِ البلادِ، وأدلةِ الرّشادِ، الألباءِ الأمجَادِ.

ومنهم عليُّ الشَّان وسيدُ العُبّادِ مِنَ الإنسِ والجانِ رابعُ ائمةِ الهدىٰ وذوي الحِجىٰ ومصابيحِ الدجىٰ والآيةُ العُظمىٰ والحجةُ الكبرىٰ علىٰ الخلقِ أجمعين ومَنْ نلوذُ في كنَفِ خِدمتِه ونتوقُ إلىٰ نظرةِ عطفِه ورحمتِه ذاكَ سيدي ومولاي زين العابدين وسيد الساجدين الإمامُ عليُّ بنُ الحُسينِ عليه السلام.

أولئك هم أهلُ البيت الذين ملأوا دنيا الوجود علماً وفكراً وجسَّدوا كلَّ ذلك عملاً وخُلُقاً وسلوكاً فكانوا حماةَ الدِّين بحقٍّ وحقيقةٍ ومظهري أحكامِه وتعاليمِه بين النّاس فأخذ منهم القاصي والداني كلٌّ بقدره، فهم بَوصلةُ الحقِّ التي من خلالها نعرفُ سبيل الهدىٰ ونتلمس الحقيقة في كل زمان ومكان.

واليـوم إذ نعيـش في زمـان تعصـف فيه الأفـكار الغريبـة بالعقول من كل جانب وتحيط بنا الشّـبهات من كل حـدَب وصوب فجدير بنا أن نرجـع إلى فيـض عطائهم عليهم السلام؛ لنكـون على بصيرة من أمرنا ونسـتنقذ ما يمكن استنقاذه من ثقافتنا ونثبت هويتنا التي كادت أن تضيع في عواصف التغريب والتشريق.

وما ذلك إلا لكون عصرِ الإمام عليه السلام يمثل حالةً فريدةً ومميزةً في تأريخ الإسلام تستحقُّ الدِّراسة والتَّأمُّل وأخذ العِبر والدُّروس منَّها لما حدث في زمنه عليه السلام من اعتداءٍ سافرٍ على بيت الوحي وحرائر النُّبوة وكان ذروته انتهاك حرمة سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين عليه السلام وآخر أصحاب الكساء، والصفوة البررة مِن أهل بيته، وسوق نسائه سبايا قد هتكت ستورهن ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وتم ذلك بأبشع صور الاعتداء وبمرأىً ومسمع من عموم المسلمين، بل بمشاركة فاعلة من بعض وجهاء القوم وجمع غفير من عامة الناس فقد ازدلف إليه -على أقل الروايات- ثلاثون ألفاً، ورضي آخرون، وسكت الباقون على ظلم لم يشهد له التأريخ مثيلاً.

ولم يكن هذا الاعتداء هو الأول على أهل بيت النبي الخاتم صلى الله عليه وآله لكنه فتح الباب واسعاً أمام حكّام الجور ومن جاء بعدهم لغرض النيَّل من ثوابت الدِّين والشَّريعة وتفعيل وتأصيل رؤىً دينية جديدة تتماشى مع أهواء السلطة ومراداتها محاولين -بكل صورةٍ- إبعاد أهل بيت الوحي عليهم السلام عن مسرح الحياة الدينية والاجتماعية وفرضوا عليهم حصارا

خانقا محاولة لعزلهم عليهم السلام عن عموم المسلمين وخصوصاً الموالين منهم؛ كي لا يؤدي وجودهم المبارك إلى جذب أنظار الناس وتذكيرهم بالدين الحنيف وأحياء أمر جدهم النبي الأعظم صلى الله عليه وآله؛ وذلك للفرق الهائل بين الإسلام الحقيقي الذي يمثله أهل البيت عليهم السلام والإسلام الذي تريد السلطة الحاكمة أن تنشره وتجعله بديلاً عن الإسلام الحقيقي لأنه -أي: المزيف- يحقق رغباتهم ويديم سلطانهم ويجعل من النَّاس خدماً، بل عبيداً عندهم، ولم يُقصِّر وعّاظُ السّلاطين في تزيين ذلك للحكام فقاموا بتفسير القرآن بما يناسب أهواءهم ومصالحهم، ووضع الأحاديث التي من شأنها أن تبرر لهم قمع الناس وقتلهم وانتهاك حرماتهم بذرائع واهية ينسبونها إلى الدين ورجالاته.

فوقف الإمام زين العابدين عليه السلام أمام هذه المحاولات مدافعاً عن دين الله سبحانه وتعالى وحديث رسول الله صلى الله عليه وآله فكان الإمام عليه السلام يبين القرآن ويفسره ويردُّ عنه التأويل والتحريف حتى ربى جيلاً من المفسرين والفقهاء[1]، وحدَّث بحديث النبي صلى الله عليه وآله ويصححه ويردُّ عنه التقوّل والتزييف ويشيِّد الفكر ويثبِّت العقائدَ ويعلِّم الفقه ويُصلِح أحوال الناس والمجتمع ويقوّي الروابط بينهم ويجعلها مبنيَّةً على أسس دينيَّة صحيحة ومتينة[2].

(١) من أضراب سعيد بن جبير، والقاسم بن محمد بن أبي بكر.

(٢) حيث واجه بدعة المجسمة والمرجئة ومنع تدوين السنة والأفكار الفلسفية المادية، محافظا على أهم أركان الدين وهو الحج الذي أريد له أن يُحرف عن ما أصل له النبي صلى الله عليه وآله.

فحق لنا أن نفخر بهذا الإمام الهمام ونسيَّر الركبان في الآفاق ليذيعوا صيته ويحمِلوا هدْيَهُ إلى العالم أجمع وينشروا نور حِكَمِه وعطرَ مواعظِه في المعمورة.

ومن هذا المنطلق انبثقت مؤسسة الإمام زين العابدين عليه السلام؛ لتأخذ على عاتقها تقديم هذا العطاء العظيم والمبارك لأبناء هذا الجيل والأجيال اللاحقة بلغة سهلة واضحة وتوسلَتْ إلى تحقيق ذلك بمختلف الآليات من منشورات وندوات ومؤتمرات وغير ذلك من فعاليات عامة وخاصة.

ويسرنا أن نقدم إلى القارئ العزيز نتاجاً فكرياً يتناول مسالة جدلية لا زالت حاضرةً بقوة في بيئاتنا الفكرية ومؤسساتنا العلمية، بل في عموم مجتمعاتنا إلا وهي الرؤية السياسية التي يمكن أن نستكشفها من خلال سيرة أهل البيت عليهم السلام وتأطيرها ضمن قواعد وضوابط محددة لجعلها معياراً لممارساتنا في هذا الحقل الحساس من حقول المعرفة النظرية والعملية ومنهجاً نربي عليه أبناءنا ليكونوا خير انعكاس لتعاليم محمد وآل محمد عليهم السلام ويمتثلوا أمرهم عليهم السلام (كونوا لنا زيناً ولا تكونوا علينا شيناً).

ولقد أدَّب أئمة أهل البيت عليهم السلام شيعتهم على أن يكونوا من أهل الوعي والفهم والإدراك للواقع والاعتناء بما يحيط بهم من أمور وأن يراقبوا الأحداث التي تَمَسُّ حياتهم ويكونوا مؤثرين في التغيير ويسعون إليه بالآليات المتاحة والسبل الشرعية التي تستند إلى قراءة ناضجة للواقع والإمكانات والنتائج؛ فدأبت المرجعيات الشيعية وعلماء الحوزة العلمية

المباركة (رحم الله الماضين منهم وحفظ الباقين) في عصر الغيبة على النهوض برعاية المصلحة العامة للمجتمعات التي هم جزءٌ منها ولم يألوا جهداً لدفع الضيم عن أبناء تلك المجتمعات والحفاظ على دين الناس وأخلاق المجتمع ورد الشبهات التي قد تُثار مِن هنا و هناك والسعي الجاد إلى استقرار الأوضاع الفكرية والتربوية والاقتصادية والأمنية، بل والسياسية وردِّ غائلةِ الأعداء وكشفِ دسائِسِهم وفضحِ مخططاتهم الخبيثة والعملِ على الارتقاء بالمجتمعات والأفراد على أن يكونوا أهلاً للأخذ بزمام المبادرة في إدارة مجتمعاتهم والحثِّ على تأهيلهم لهذه المهمات الخطيرة.

فقد نُشِر عن سماحة المرجع الأعلى آية الله العظمى السَّيد علي الحسينيّ السيستاني (دام ظله الوارف) قوله: (إنه «ينبغي للعراقيين -ولا سيما النخب الواعية- أن يأخذوا العِبر من التجارب التي مرّوا بها ويبذلوا قصارى جهدهم في تجاوز اخفاقاتها ويعملوا بجدّ في سبيل تحقيق مستقبل أفضل لبلدهم ينعم فيه الجميع بالأمن والاستقرار والرقي والازدهار»، مؤكداً على أن «ذلك لا يتسنى من دون إعداد خطط علمية وعملية لإدارة البلد اعتماداً على مبدأ الكفاءة والنزاهة في تسنّم مواقع المسؤولية، ومنع التدخلات الخارجية بمختلف وجوهها، وتحكيم سلطة القانون، وحصر السلاح بيد الدولة، ومكافحة الفساد على جميع المستويات»)[1].

(١) موقع سماحة المرجع الأعلى آية الله العظمى السَّيد علي الحسينيّ السيستاني (دام ظله الوارف).

ويُعدُّ سماحة المرجع الأعلى آية الله العظمى السَّيد علي الحسينيّ السيستاني (دام ظله الوارف) من أبرز المراجع الذين نهضوا بهذه الأدوار في عصرنا الحاضر وما شهدناه من سماحته ولمسناه من عظيم حكمته ودقة تدبيره لا تسعه هذه المقدمة، بل يحتاج إلى مؤلَف موسوعي يوثِّق هذه المرحلة المهمة من حياة المجتمع الإسلامي، بل الإنساني وسيرة هذا الرجل العظيم وفعله الجليل نسأل الله أن يمد في عمره الشَّريف المبارك.

والمرجعيةُ العليا متمثلةً بشخصه الشَّريف وإن لم تطرح نفسها كصاحبة مشروع سياسي ولم تتصد لتشكيل أي مسمًى سياسي ولم تسع يوماً لتتصدى لفعل أو منصب من هذا النوع إلا أنها (كان لها أدوار مختلفة فقد أخذت بزمام المبادرة بإصدارها الفتوى الدّستورية الشّهيرة التي أسست لبناء الدّولة العراقية الجديدة -بعد عام ٢٠٠٣ميلادي- وفق نظام يعتمد التَّعددية السِّياسية والتَّداول السِّلمي للسُّلطة عبر الرجوع إلى صناديق الاقتراع، وحثت العراقيين على الاشتراك في الانتخابات لتقرير مصيرهم بأيديهم، وعلى احترام القانون والحفاظ على المال العام، وعدم الثَّأر والانتقام.

وتدخلت المرجعية العليا غيرَ مرة لإيقاف التّدهور الأمني في أكثر من منطقة، مستخدمة قوتها المعنوية، بتقديم حلول سياسية تارة، وبالتدخل المباشر تارة أخرى، كما حدث في أزمة النجف الكبرى آب ٢٠٠٤.

كما أجهضت كثيراً من المشاريع الأجنبية المشبوهة التي حاولت الالتفاف على المطالب المحقة للشَّعب العراقي في السِّيادة والاستقلال

وأخمدت الفتنة الطّائفية بالحكمة والصَّبر. وواجهت الإرهاب بكافة صوره وأشكاله، وكان من أهمها الهجوم الهمجي الذي تعرض له العراق من قبل عصابات داعش، حيث أصدرت فتوىٰ الدِّفاع الكفائي؛ ما أدىٰ إلىٰ تغيير موازين القوىٰ بشكل جذري وإحباط مؤامرة كبرىٰ حيكت للعراق والعراقيين، [بل المنطقة بأسرها].

وواكبَت المرجعية العليا الحراك الشَّعبي المطالب بالإصلاح ومحاربة الفساد المالي والإداري ودعمته بخطبها [من علىٰ منبر الجمعة] ومطالباتها ومواقفها.

وكانت المرجعية العليا ولا تزال تراقب العملية السّياسية بدقة تامة فتتدخل متىٰ ما استشعرت الخطر محدقاً بالعراق ومصالح شعبه، ووجدت أن تدخلها يكون مجدياً في حل الأزمات المستعصية أو التخفيف منها، ولتَدَخُّل المرجعية -التي هي حريصة علىٰ أن لا تتجاوز فيه الأطر القانونية- صيَغٌ مختلفةٌ معلنةٌ وغيرُ معلنةٍ، باختلاف الظّروف والحيثيات، ولكنها في كل الأحوال تكون شفافة وواضحة لذوي الشأن من مسؤولين وغيرهم، وليس من دأبها أن تتفاوت مواقفها المعلنة عما تتبناه في واقع الحال)[1].

(١) الحاج حامد الخفّاف مدير مكتب سماحة السيد السيستاني (دام ظلّه) في لبنان، في حوارٍ أجرته معه وكالة «شفقنا» في بيروت، ونشره موقع سماحة السيد المرجع، بترتيب طفيف منا.

فكان السيد المرجع فاعلاً في الأداء السياسي وإن لم يكن رجلَ سياسةٍ -أعني: صاحب مشروع سياسي-.

ومن هنا يمكن فهم المباني السياسية للشيعة الإمامية والتي اقتفوا فيها آثار أئمتهم عليهم السلام.

ولا يفوتنا أن نشير هنا إلى وجود وجهات نظر أخرى في هذا الصدد ليس هنا محل طرحها والنقاش فيها، بل نترك الأمر فيها إلى ميادين الاختصاص.

ونحن قد أعطينا مساحة واسعة للأخت المؤلفة فيما سطَّرته من أفكار واستنتجته من رؤى وطرحته من تحليلات، ولذا نُكبِر فيها روحَ المثابرةِ والجهد الكبير الذي بذلته في معالجة موضوعٍ هو في غاية الحساسية، والمواقف فيه مختلفة غايةَ الاختلاف ومع ذلك كلّه جاء بحثها في إطار منهجيٍّ علميٍّ رصينٍ منسجماً مع بعض الرؤى ومخالفاً لأخرى وليس ذلك إلا لاتساع دائرة الاجتهاد وحرية الفكر وتنوع المناهج.

وقد دأبت المؤسسة على إعطاء هذه المساحة للباحثين في أن يتناولوا القضايا المختلفة الحساسة منها وغيرها وفق ضوابط المنهج العلمي ورصانة الطرح وجدة البحث؛ لتشجيع الأقلام الفاعلة على الكتابة الهادفة وإذكاء روح البحث والتداول العلمي.

نعم هذا الانفتاح على البحث والحرية في التفكير لا يسوغ أن تصل الأمور إلى تجاوز الأطر الشرعية والفكرية المحددة من قبل

المجلس العلمي للمؤسسة ويمنع من التطرف في الطرح والتعدي على الثوابت والضرورات.

واخيراً شكرنا موصول إلى الأخت الباحثة الكريمة (الدكتورة راغدة المصري) من دولة لبنان وإليك عزيزي القارئ وإلى كل من ساهم في اخراج هذا الكتاب إلى عالم النور والاستفادة.

فنسأل اللهَ دوام التوفيق للجميع وآخر دعوانا أن الحمد للهِ ربِّ العالمين وصلى اللهُ على محمد وآله الطاهرين.

ومنه تعالى نستمد العون والتوفيق.

مؤسسة الإمام زين العابدين عليه السلام

للبحوث والدراسات

١٧/ رجب/ ١٤٤٦

مقدمة المؤسسة ٥
مقدمة المؤلف ١٧

التمهيد

مصطلحات ومفاهيم

المباني لغة واصطلاحاً ٢٥
السّياسة لغة واصطلاحاً ٢٥
الإماميّة لغة واصطلاحاً ٢٧
الإمام علي بن الحسين عليهما السلام ٣٠

الفصل الأول

المباني السياسية الإمامية قبل عهد الإمام السجاد عليه السلام

المبحث الأول

نشأة المباني السياسية الإمامية

الارتباط بالغيب ٤٠
مفهوم القيم ٤٠
العقد الاجتماعي والشراكة الحضاريّة ٤١

المبحث الثاني

المباني السياسيّة ما بين صلحي الحديبية وصلح الإمام الحسن عليه السلام

البناء السياسي للمجتمع الإسلامي ٥٠

المباني السياسيّة العلويّة ٥٢

صلح الإمام الحسن عليه السلام ٥٩

المبحث الثالث

ركائز المباني الإمامية السياسية

الإمامة ٦٥

العدل ٦٧

الفصل الثاني

مضامين المبانْي السّياسية الإمامية عند الإمام السجاد عليه السلام

تمهيد ٧٧

المبحث الأول

معالم الحراك السياسي عند الإمام السجاد عليه السلام

تخليد ذكرى الإمام الحسين عليه السلام ٨٢

إثبات إمامة السجاد عليه السلام ٨٣

المبحث الثاني

الإمام زين العابدين عليه السلام وموقفه من حكام عصره

مواقفه في مواجهة يزيد بن معاوية ٨٩

عبد الملك بن مروان..... ٩١

حكومة هشام بن عبد الملك ٩٣
الدعاء عبادة وموقف وثبات سياسي ٩٧
دعاء عرفة ٩٨
دعاء يوم الجمعة وعيد الأضحى ١٠٠

المبحث الثالث

المباني السياسيّة الإماميّة للإمام زين العابدين عليه السلام

مبنى الإمامة والقيادة ١٠٥
مبنى محاربة الظلم والفساد ١١٤
موقفه من الثورات الداخلية ١١٥
ثورة عبد الله بن الزبير في مكة (٦٥هـ) ١٢٠
نتائج حياد الإمام السجاد عليه السلام ١٢٤
التوابون ١٢٥
ثورة المختار الثقفي في عام ٦٦ هـ ١٢٦

الفصل الثالث

مبنى العدل وتجلياته السياسية والاجتماعية

تمهيد ١٣١

المحبث الأول

مواجهة الفساد السياسي والاجتماعي

التصدي للعصبيّة والعنصريّة ١٣٥
التصدي للحرمان الاقتصادي ١٣٨
الحدّ من ظاهرة الرقّ ١٤٢

الطرق والأساليب التي اعتمدها في تحرير العبيد ١٤٤

المبحث الثاني

سياسة الإمام السجاد عليه السلام في محاربة الفقر

الحقوق الماليّة ١٥٥
مساعدة الفقراء والمحتاجين. ١٥٧
العمل الخيري والمسؤولية الاجتماعية ١٥٩

المبحث الثالث

التنمية الثقافية السياسية (الإنسان الغاية والهدف)

التمكين في الإسلام ١٦٩
التوجّه الديني في بناء الفرد والمجتمع ١٧٠
التوجه القيمي ١٧٢
التوجه التنظيمي للعقد الاجتماعي ١٧٦
توجه العمل الخيري والمسؤولية الاجتماعية ١٨٤

المبحث الرابع

الصحيفة السجادية وثيقة تشريعية سياسية

الصحيفة السجادية دستور للتعامل السياسي والاجتماعي ١٩١
الحقوق القضائية ١٩٧
دعاء الثغور وسياسة الأمن القومي ١٩٩
الخاتمة ٢٠٥
المصادر والمراجع ٢١٣
الفهرس ٢٢٣